الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إنه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وبأنه لا ينفع
وقوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين قال
الطبري يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتذكر يا محمد إبراهيم في محاجته قومه إذ كانوا أهل
أصنام وكان قوم النبي صلى الله عليه وسلم أهل أصنام وقوله أصناما آلهة مفعولان وذكروا أن
آزر أبا إبراهيم كان نجارا ومحسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي عنده
آزر لذلك وكان على خطة عمل الأصنام تعمل بأمره وتدبيره ويطبع هو في الصنم بختم معلوم
عنده وحينئذ يعبده القوم فلما نشأ إبراهيم ابنه على الصفة التي تأتي بعد كان أبوه يكلفه
بيعها فكان إبراهيم ينادي عليها من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها
في الماء منكوسة ويقول لها اشربي فلما انتشر استهزاؤه بالأصنام وأخذ في الدعاء إلى الله عز
وجل قال لأبيه هذه المقالة والرأي في هذا الموضع يشترك فيها القلب والبصر وهي بينة
ظاهرة واضحة وقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض الآية هذه
المتقدمة تقتضي هداية إبراهيم عليه السلام والإشارة بهذا ذلك هي إلى تلك الهداية
أي وكما هديناه إلى الدعاء إلى الله تعالى وإنكار الكفر أريناه ملكوت السموات والأرض
ونري لفظها لفظ الاستقبال ومعناها المضي وهذه الرؤية قيل هي رؤية البصر وروي في ذلك
أن الله عز وجل فرج لإبراهيم عليه السلام السموات والأرض حتى رأى بعينه الملكوت
الأعلى والأسفل وهذا هو قول مجاهد قال تفرجت له السموات والأرض فرأى مكانه في
الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر لكنها في الملكوت وقع
له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لأحد من أهل زمانه الذين بعث إليهم قاله ابن عباس
وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السموات والأرض بفكرته ونظره والملكوت بناء
مبالغة وهي بمعنى الملك والرحموت تقول العرب ملكوت [illegible] واللام في وليكون متعلقة
بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين أريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن أن يطرأ
له فيه شك وروي عن ابن عباس في تفسير وليكون من الموقنين قال جلى له الأمور سرها
وعلانيتها فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال
الله إنك لا تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك وقوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
الآية جن الليل ستر وغطى بظلامه وذهب ابن عباس وأناس كثيرة إلى هذه القصة

وقعت

ووقعت في حال صباه وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل أن تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه
مكلفا وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت إنه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ
أي أهذا ربي وحكي أن النمرود وجبابرة أهل الزمان رأوا بالنجوم أن مولودا يولد في سنة
كذا له علامة يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى ويوكل بهن حراسا فمن وضعت أنثى تركها
ومن وضعت ذكرا حمل إلى الملك فذبحه وأن أم إبراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت
حملها فلما قربت ولادتها بعثت أبا إبراهيم إلى سفر وتحيلت إلى مضيه إليه ثم خرجت هي
إلى غار فولدت فيه إبراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بأن يمص
أصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذوه ملك وحكي بل كانت
أمه تأتيه بألبان النساء التي ذبح أبناؤهن والله أعلم أي ذلك كان فشب إبراهيم أضعاف
ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة
أعوام وقيل خمس عشرة سنة وأنه نظر أول ما عقل من الغار فرأى الكوكب وجرت قصة
الآية والله أعلم أي ذلك كان فلما جاز هذا ووقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما
ذهب إليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ وذلك ينقسم على وجهين إما أن يجعل قوله هذا ربي
تصميما واعتقادا وهذا باطل لأن التصميم على الكفر لم يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وإما أن يجعله تعريضا للنظر والاستدلال كأنه قال هذا المنير البهي ربي إن عضدت ذلك
الدلائل وإن قلنا إن القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز أن يقول هذا مصمما ولا
معرضا للنظر لأنها رتبة جهل أو شك وهو عليه الصلاة والسلام منزه معصوم من ذلك كله
فلم يبق إلا أن يقوله على جهة التوقيف لقومه والتوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم في عبادة
الأصنام كأنه قال أهذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال الله تعالى أين شركائي أي على
زعمكم ثم عرض إبراهيم عليهم من حركة الكوكب وأفوله أمارة الحدوث وأنه لا يصلح أن يكون
ربا ثم في آخر أعظم منه وأحرى كل ذلك في الشمس كذلك فكأنه يقول فإذا بان في هذه
المنيرات أنها لا تصلح للربوبية فأصنامكم التي هي خشب وحجارة أحرى أن لا
يتبين ذلك فيها ويعضد عندي هذا التأويل قوله إني بريء مما تشركون وأي حجة
هذا النظر وعيان في الشرع قال وذهب بعض الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أن
إبراهيم إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومنبها عليهم قال ع ومثل لهم بهذه الأمور لأنهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)